رواية

مُستقر الروح ومحراب الصُمود

زفرات فتاة عايشت
حكاية نضال مدينة ودوما من قلب الحدث

يمان حسين خيتي

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - İSTANBUL

Hamedouv Aljandali

مُستقر الروح ومحراب الصُمود

MUSTQR ALRUH
VAMIHRAB ALSUMUD
YAMAN KHAITY
1. Baskı: İstanbul
2020 - 1442

مُستقر الروح ومحراب الصُمود

يمان حسين خيتي

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية ..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

مُستقر الروح ومحراب الصُمود

يمان حسين خيتي

القياس: 13 X 21 سم

عدد الصفحات : 72 ص

ISBN: 978- 605- 7618- 46- 7

الطبعة: الأولى

1442 هـ - 2020 م

جميع الحقوق محفوظة

Baskı ve Mücellit: Enes Basın Matbaacılık Ltd. Şti.
Litros Yolu Fatih San. Sit. No: 12/210 Topkapı/İstanbul

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - ISTANBUL

طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية

www.ArabFamilyBs.com
+90 212 631 81 09 - +90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com

UFUK neşriyat®
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

Sertifika No: 35657

UFUK NEŞRİYATIN® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

الآراء الواردة في هذا الكتاب تخص الكاتب وحده ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الدار

المُقَدِّمة

مرحباً، هل استعددت لغزو هذه الحروفِ قبل أن تفتحَها؟

هل أنتَ واثِقٌ من قدرتك على الإبحار بين الدّموع؟

على اجتياز القهرِ المُخبَّأ؟ والأرواحِ المُزهقة؟

على اجتيازي بعد انتهاء القصَّة؟

خُذِ الكثيرَ من الأوكسجين، وخبِّئه بين تلافيف دماغك، فأنتَ على مَوعدٍ مع الاختناق، مع الألم، مع الصّمود، والظّلم، وأنا!

وجميعُنا سنستنزف من داخلك الكثير!

كُن على علمٍ أنّ ما كُتِبَ حصل يوماً ما، ببيتٍ ما، ومع أشخاصٍ ما، في بقعةٍ مُنفيةٍ، تحت سماء لم تُظِلَّ سواها.

وأخيراً، أُهدي نزفي هذا لشهدائنا الأبرار، لمعتقلينا المغيَّبين في السّجون، لبحَّة ساروتنا، لدوما، للمعرَّة الجميلة، لقضيَّتي الأولى والأخيرة، لثورتي الَّتي جعلتني ما أنا عليه، لهم وعلى الدُّنيا من بعدهم السّلام.

مُستقر الروح ومحراب الصُمود

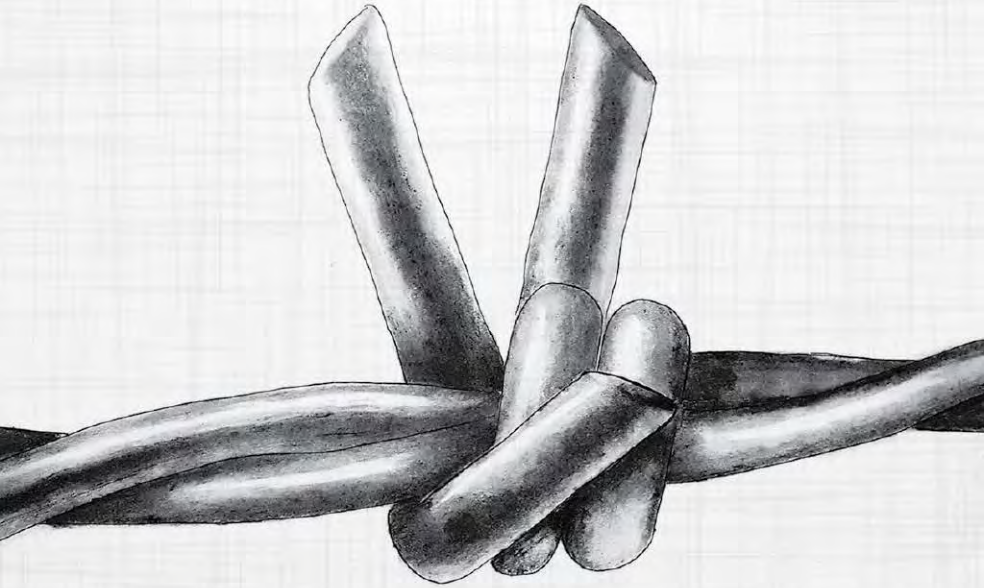

في ديسمبر تبدأ الأحلامُ

كليَّةُ التَّربية/ دمشق

صباحٌ بارِدٌ كعادة صباحات ديسمبر، على عتبات الكلِّيَّة وقفت أنتظر صديقي «لؤي»، تأخَّر والمُحاضرةُ ستبدأ قريباً، الهدوءُ سيِّد اللَّحظات رغم وفود الكثير من الطُّلَّاب، ذهبت إلى مقهى الكُلِّيَّة وطلبت فنجاناً من القهوة، بعد لحظاتٍ من دخولي دخلت «عبير» الطّالبةُ في السّنة الثّالثة، ملامِحُها هادئةٌ، وفيها سكينةٌ كبيرة، لا تحمل علاماتِ جمالٍ، ولكن تَخلِقُ في كلِّ مَن نظر إليها الرّاحةَ، طلبت فنجانَ قهوةٍ وأخرجت كتاب أذكارها وبدأت تقرأ، تابعت حركةَ شفتيها وهي تتلو، وبدأت أفكِّك الحروفَ المقتولةَ على حوافِّها، وأتلوها من بعدها مرَّةً أخرى، إلى أن أيقظتني ضربةٌ خفيفةٌ من لؤي، هي توحي بأنّه سيعيد ذات الأسطوانة الَّتي يُخبرني بها كلَّ مرَّة، أن أكفَّ عن تأمُّلِ الفتاة بهذه الطَّريقة، وأن أتقدَّم لخطبتها؛ كونَها ابنةَ مدينتنا «دوما» وذاتَ نسبٍ حسنٍ، لكنَّها خطوةٌ يستصعبها قلبي رغمَ تيقُّنه بإعجابه بها.

لـؤي، صديـقُ الطُّفولـة، ورفيـقُ الأزقَّـة الضَّيِّقـة، تقاسـيمُ وجهـه الشرقيَّـةُ، عينـاه العسـليّتان الواسـعتان، وبشرتُـه القمحيَّـةُ؛ كلُّ هـذه التّفاصيـل تقـودُ مَن يـراه إلى حـارات المدينة، ممشـوقُ القامـة، صاحِبُ فكـرٍ نـيِّرٍ، كثـيراً ما حـاول أن يجعـلَ منِّي شـخصاً قارئـاً ولكنَّه يفشـل، فـيردِّدُ في نهايـة كلِّ نقـاش بفلسـفة: «هـذه مـا هـي إلّا تباشـيرٌ بنجاحي بسـحبك لهـذا العـالم يومـاً ما».

لكـنَّ فكـرَ والـدي كان طاغيـاً بنسـبةٍ أكـبر، فعمـي معتقـلُ فِكـرٍ كـما سـمعته يوماً يهمـس لأمِّي بهذا، ويرفض دخـول أيِّ كتـابٍ إلى البيت مذ اختفـى عمِّـي، يُـردِّد لؤي بعـد أن احتجَّـجَ بوالـدي: «الفكـرُ لا يُعتقلُ يا صديـق، هل تظـنُّ أنَّ بعد الاعتقال سـيموت الفكـرُ أو يتـوبُ المُعتقل!»

فألجـأ لحينهـا لتغيـير الموضـوعِ بسرعـةٍ كبـيرة، فتسـمح حينهـا فطنتُه مـن كشـف تلبُّكي عنـد ذكـر هـذا الموضوع.

لؤي جريءُ الكلام، فإذا سمحتُ له ساقنا إلى الجحيم معاً!

لؤي: ألن تدخلَ للمحاضرة؟

خالد: لا.

لؤي: حسناً، نلتقي فيما بعد.

لؤي:

كثيراً ما يثير استغرابي خالدٌ بتصرفاته، أشعر أنَّه مزيجٌ من كلِّ شيء؛ الخوفِ والشّجاعةِ، الحبِّ والبغضِ، القوَّةِ والجُبنِ، الشِّدَّةِ واللِّينِ، كلُّ ما هو مُتناقِضٌ أجده فيه.

تارةً أراه بركاناً ثائراً يُدمِّر بلاداً بحالها، وتارةً برودُه يصيب قلبي فيقتله، أكثرُ ما يميِّزه ملامحُ الهدوء المسيطرةُ على وجهه، حاجباه المُنسَّقان بشكلٍ جميلٍ، ليضفيا على عينيه الخضراوين جمالاً فوق جمال، طولُه المُعتدِلُ، شغفُه بالموسيقى، بعدُه كلَّ البُعد عن الضجيج، يميل دوماً لكلِّ ما هو تقليديٌّ، ومذ التقى بعبير أوَّل مرَّة؛ صار شاردَ البال، يتغيَّب عن المحاضرات، ويخاف كثيراً.

أخبرني مرَّةً بكلِّ ما يحمل من صدقٍ: «لؤي، أخاف من الحُبّ، أشعر أنَّه يجعل من الرِّجال الأشدَّاء ضعافاً، فكيف يجعل بمَن هم مثلي!»

يخاف أن يؤذيه شيءٌ ما، فيبتعد عن محبوبته الَّتي لم تعرف بحبِّه بعد!

فيقتلُ نفسَه ألفَ مرَّةٍ، بينما هو قادِرٌ على أن يحيا بطلبها!

خالد: مرحباً.

عبير: أهلاً وسهلاً، تفضل؟

ردُّها القاسي خلقَ ألفَ كذبةٍ في رأسي، يطرقون فيَّ لئلّا أخبِرَها بما أريد، لكنّني تَبِعتُ قلبي هذه المرَّة.

خالد: هل بإمكاني أن آخُذَ موعداً منكِ، تريد أمِّي أن تزورَكم.

شاهدتُ كلَّ ما رسمَه الرَّسامون، وكلَّ ما كتبه الشّعراءُ من غزلٍ في وجنتيها، كان احمرارُ وجهها أعظمَ من كلِّ ما قيل، ابتسامتُها الخجولةُ رمت بقلبي في بئرٍ لا قرارَ له، بئرٍ لن يخرجني منه إلّا صوتُها وهو يخبرني يوماً بحُبِّي!

العنوان معي الآن!

مَن قال في ديسمبر تنتهي الأحلام!

في ديسمبر تبدأ الأحلام، يبدأ الحُبُّ، السّعادةُ، تبدأ عبيرٌ بخطفي وهي تعي لهذا!

لن يثوروا حتّى يعوا، ولـــن يعوا حتّى يثوروا

«جورج أوريل»

دوما

خالد:

نزلـتُ مُسرِعـاً بعـد أن ابتلعتُ كوبَ القهـوة ابتلاعاً، ركبتُ سـيّارتي في طريقـي للدوام.

بعـد الحصَّـة الرَّابعـة، رنَّ هاتفـي، لـؤي، هـو يعلـم أنّنـي في العمـل وهـو لا يتَّصِـلُ بي في هـذه الأوقـات إلَّا لأمـرٍ جَلَـل !

طلـب منّـي الحضورَ لقهـوة «السّرايـا» بسرعة، اعتـذرتُ للمدير عن إعطائـي للحصـة الأخـيرة، وانصرفـتُ لم أفكـر في الخمس دقائـقَ الَّتي اسـتغرقتها حتَّى وصلتُ إليه سـوى بصوته المُرتَجِف، كانت خمسَ دقائقَ ولكنِّني ظننتها سـاعةً بأكملها، حتَّى مدينتي الصّغيرةُ باتت بلاداً بحالها.

وصلتُ إلى القهوة، وبدأت أُفتِّش عنه، كان ينزوي على طاولة في آخر القهوة، انطلقتُ إليه مسرعاً، القلقُ كان قد التهمَ أطراف أصابعه، وارتشف من دماءِ شفتيه !

خالد: ماذا هناك يا لؤي !

لؤي : أتتني إخباريَّةٌ أنَّ هُناك من كتب بي تقريراً؛ كوني أحتوي في مكتبتي على كتبٍ ممنوعةٍ.

خالد : كم مرَّةً عليَّ أن أخبِرُكَ أن تتخلى عنها؟!

إن كان ثمنُها ما يُقلِقُكَ فسأدفعه لك، إنَّك تُعرِّضُ حياتَك وأملَ عائلتك للخطر لأجل مكتبتِك العفنة..

لؤي : كمَّ مرَّةً عليَّ أن أخبِرَك أنَّها تعني ليَ الكثير؟!

خالد : هل لأنَّ عمَّك المجنونَ قد أخبرك وحدَك دون العائلة عن مكانها، وتعتبرُه حمَّلك أمانةً ووثق بك، إنّه يريدُ أن يصحبك نحو الهاوية الَّتي ابتلعته.

أخبرني بالله عليك، ألم يُترُكِ ابنُ عمِّكَ الدّراسةَ؛ ليَتمكَّنَ من إعالة أمِّه وإخوته؟!

ألم يستمروا بطلب المعونة من أبيك؟!

ويثيرون شفقةَ العائلة كلِّها؟!

أنت نفسُك من أخبرني بمأساتهم، والآن وبكلِّ حماقةٍ تُكرِّرها

معك ومع عائلتك!!

لؤي : ألن تتمكَّن من فهمي ولو لمَرَّةٍ واحدة؟!

حتَّى متى سيظلُّ الخوفُ يعشِّشُ في صدوركم؟!

أليس من حقّي أن احتفظ بالكُتب التي أريد؟!

هل أنت سعيدٌ وأنت تعيشُ في بلد تُحرَمُ به من قراءة كتب إسلاميَّة؟! فقط لأنّها ستجعلك تفكّر، حتَّمَ سنظلّ كالقطيع؟!

أخبرني يا خالد: ألم تُفكِرَ يوماً ولو بينك وبين نفسك أنّك تعيشُ في أكثر بقعةٍ مَظلومةٍ في هذا الكوكب؟!

إنّ النّاسَ تَتقدَّمُ، ونحن نظلُّ أسرى هذه العائلة، إن لم تشعر بهذا يا خالدُ فيا أسفى عليك!

ذهب لؤي، وتركني وحدي في هذه الزّاوية، الَّتي تبعد عن الكون كلِّه مِقدارَ لحظة تفكير، فمتى ما فكّرت للحظةٍ؛ وجدت نفسي بها، بين أفكاره ومعتقداته، ذهب وترك القلقَ خلفه ليلتهمني، ويجعل من دقّات قلبي طبلاً يَتراقص عليه المجرمون، نحنُ نعيش الظّلمَ، لكنَّنا نعيشُهُ أحرارًا، إن تفوهنا بكلمةٍ؛ فسنعيش الظُّلمَ خلفَ القضبان، لن أفهم فِكرَ لؤي، ولن يفهم خوفي، سنبقى عالقين بين بعضنا، بيننا فِكرٌ وآلافُ الأمتار من الخوف!

دوما

لؤي:

خرجت، كادت الدُّموعُ تبتلع قلبي، لم أتخيَّل أنَّه سيكون فجوةً تحوي خوفي كلَّه، وتقتلني، قتلني خالدٌ للمرَّة الألف!

كم تمنيت لو أستطيع السَّفرَ، أن أفرَّ من هذا الجحيم، أن أستطيعَ توفيرَ الحُرِّيَّة لأطفالي، في كلِّ مَرَّةٍ أفكر أنَّ أولادي سيكبرون ويعيشون ما أعيش، أشعر بالاختناق، كيف لهم أن يتحمَّلوا الظُّلمَ كلَّه، ولو أنَّ الشَّعبَ لم يضع لهم حدّاً الآن؛ فإنَّنا نُحكم على كلِّ الأجيال القادمة بالخنوع، والتّعايش مع أبناء المسؤولين الذين يلتهمون كلَّ فجرٍ يُشرِقُ عليهم!

دخلت البيتَ وركضت إليَّ (قمر)، ضممتها كما لم أفعل من قبل، كأنِّي أودِّعها، أو أنني أودِّع السّماءَ الَّتي في عينيها، ارتجفت ألفَ مرَّةٍ وهي بين يدي، يزعجني أمرُ زواجي المتأخِّرُ يا حُلوتي، أليس من حقِّي الأبويَّ أن أراك خريجةَ الكلِّية التي أحببت؟

أن أراك عَروساً تطلِّين بالفُستان الأبيض؟

كيف لهم أن يخطفوا الأحلامَ من عيوننا، لنعيشَها غيرَ مُكتمِلةً، أو أن نكونَ مُجَرَّدَ مشاهدين نُتابِعُ أحداثاً أحببناها من السّماء، يقلقني هذا، ولكنِّني سأبقى معك يا حَبَّةَ السُّكَّر ما استطعت لهذا سبيلًا.

يمان حسين خيتي

- زفرتها ياسمينة دمشقيّة في 26/5/2002
- ومازال حبلها السّريّ متعلّقاً بعناقيد عنب دوما .. سوريّة المنبت والأصل
- تتهيأ للدّراسة الجامعيّة في تركيّا وهذه أولى إنجازاتها المطبوعة على الورق .

مُستقر الروح ومحراب الصُمود

مرحباً.. هل استعددت لغزو هذه الحروف قبل أن تفتحها ؟

هل أنت واثق من قدرتك على الإبحار بين الدموع ؟

على اجتياز القهر المخبأ ؟ والأرواح المزهقة ؟

على اجتيازي بعد انتهاء القصة ؟

خذ الكثير من الأوكسجين وخبئه بين تلافيف دماغك، فأنت على موعد مع الاختناق،

مع الألم، مع الصمود، والظلم، وأنا! وجميعنا سنستنزف من داخلك الكثير!

كن على علم أن ما كتب حصل يوماً، ببيت ما، ومع أشخاص ما، في بقعة منفيّة،

تحت سماء لم تظلّ سواها.

ISBN 978-605-7618-46-7

9 786057 618467

مكتبة الأسرة العربية
اسطنبول
نحو أسرة عربية واعية ..
ARAP AİLE KÜTÜPHANESİ - İSTANBUL
طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية
UFUK neşriyat
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

www.ArabFamilyBs.com
+90 212 631 81 09
+90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com